(الدرس ٢٩) أصول الكافي/ كتاب التوحيد/ بَابُ النَّهْيِ عَنِ الصِّفَةِ.....ليلة الخميس ٢٩ ربيع الأوَّل ١٤٤٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

ما زال الكلامُ في الحديثِ الثالث[1] من روايات باب النهي عن الصفة بغير ما وصف الله به نفسه، ففي هذه الرواية الشريفة: **(عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْخَزَّازِ وَمُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، قَالَا: دَخَلْنَا عَلَى أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فَحَكَيْنَا لَهُ أَنَّ مُحَمَّداً (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) رَأَى رَبَّهُ فِي صُورَةِ الشَّابِّ الْمُوَفَّقِ فِي سِنِّ أَبْنَاءِ ثَلَاثِينَ سَنَةً** -إلى أن قال- **فَخَرَّ سَاجِداً للهِ ثُمَّ قَالَ: « سُبْحَانَكَ مَا عَرَفُوكَ، وَلَا وَحَّدُوكَ، فَمِنْ أَجْلِ ذلِكَ وَصَفُوكَ، سُبْحَانَكَ لَوْ عَرَفُوكَ لَوَصَفُوكَ بِمَا وَصَفْتَ بِهِ نَفْسَكَ، سُبْحَانَكَ كَيْفَ طَاوَعَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يُشَبِّهُوكَ بِغَيْرِكَ ؟ ! اللَّهُمَّ، لَاأَصِفُكَ إِلَّا بِمَا وَصَفْتَ بِهِ نَفْسَكَ، وَلَا أُشَبِّهُكَ بِخَلْقِكَ، أَنْتَ أَهْلٌ لِكُلِّ خَيْرٍ، فَلَا تَجْعَلْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.**

ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا ، فَقَالَ : « مَا تَوَهَّمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَوَهَّمُوا اللهَ غَيْرَهُ » ثُمَّ قَالَ : « نَحْنُ - آلَ مُحَمَّدٍ - النَّمَطُ الْأَوْسَطُ الَّذِي لَايُدْرِكُنَا الْغَالِي، وَلَا يَسْبِقُنَا التَّالِي يَا مُحَمَّدُ إِنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حِينَ نَظَرَ إِلَى عَظَمَةِ رَبِّهِ كَانَ فِي هَيْئَةِ الشَّابِّ الْمُوَفَّقِ وَسِنِّ أَبْنَاءِ ثَلَاثِينَ سَنَةً) .

إلى هنا وصلنا في شرح الرواية الشريفة في جلسة الأسبوع الماضي، وهو أنَّ الإمام الرضا (عليه السلام) يقرّر أنَّ الحديث المروي هو أنَّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حين نظر إلى عظمة ربّه كان الرسول (صلّى اللهُ عليه وآله) في هيئة الشاب لا أنَّ الله تعالى في هيئة الشاب، بل أنَّ الرسول (صلّى الله عليه وآله) حين نظر إلى عظمة ربّه كان الرسول في ذلك الوقت في هيئة الشاب، **(يَا مُحَمَّدُ إِنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حِينَ نَظَرَ إِلَى عَظَمَةِ رَبِّهِ كَانَ فِي هَيْئَةِ الشَّابِّ الْمُوَفَّقِ وَسِنِّ أَبْنَاءِ ثَلَاثِينَ سَنَةً، يَا مُحَمَّدُ ، عَظُمَ رَبِّي عزّ وَجَلَّ أَنْ يَكُونَ فِي صِفَةِ الْمَخْلُوقِينَ) .**

قَالَ-السائل- **: قُلْتُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، مَنْ كَانَتْ رِجْلَاهُ فِي خُضْرَةٍ ؟** لأنَّ الرواية تقول نظر النبي (صلّى الله عليه وآله) إلى ربّه ورجلاه في خضرة.

قَالَ : « ذاكَ مُحَمَّدٌ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كَانَ إِذَا نَظَرَ إِلَى رَبِّهِ بِقَلْبِهِ، جَعَلَهُ فِي نُورٍ مِثْلِ نُورِ الْحُجُبِ

---

[1] أصول الكافي (دار الحديث) للشيخ الكليني/ كتاب التوحيد/ بَابُ النَّهْيِ عَنِ الصِّفَةِ بِغَيْرِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ تَعَالَى:١/ ٢٤٨-٢٥٠/ ح٣.

حَتّى يَسْتَبِينَ لَهُ مَا فِي الْحُجُبِ ؛ إِنَّ نُورَ اللهِ: مِنْهُ أَخْضَرُ ، وَمِنْهُ أَحْمَرُ ، وَمِنْهُ أَبْيَضُ، وَمِنْهُ غَيْرُ ذلِكَ ؛ يَا مُحَمَّدُ ، مَا شَهِدَ لَهُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ ، فَنَحْنُ الْقَائِلُونَ بِهِ ».

بقي في هذه الرواية الشريفة مطلبان:

المطلب الأوّل: التعبير بنور الحُجُب **(كَانَ إِذَا نَظَرَ إِلى رَبِّهِ بِقَلْبِهِ، جَعَلَهُ فِي نُورٍ مِثْلِ نُورِ الْحُجُبِ حَتّى يَسْتَبِينَ لَهُ مَا فِي الْحُجُبِ)** ما هو المقصود بنور الحُجُب؟ وأنّ الله تبارك وتعالى يجعل النبي (صلّى الله عليه وآله) في نور مثل نور الحُجُب ، فما هو المقصود بنور الحُجُب ؟

ظاهر الروايات الشريفة أن للحُجُبِ مثالين، مثالاً عرشيًّا ومثالاً أرضيّاً.

فالمثال العرشي الحُجُب هو عبارة عن نور محيط بالعرش تُحدِقُ به الملائكة، ولعلَّ تسميته هذا النور بالحُجُب لفرط النورى فإنَّ النور إذا كان قوياً يغشي البصر، فلفرط النور وشدّة قوته وصرافته كأنه يحجُبُ رؤية ما خلفه، وكأنه يحجُبُ رؤية العرش الذي يكون هذا النور محيطاً به وإلى ذلك تشير الروايات الشريفة.

نقرأ بعض الروايات التي وردت في وصف نور الحُجُب.

منها ما ورد في نهج البلاغة[٢] في صفة الملائكة قال الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : (**ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَه لِإِسْكَانِ سَمَاوَاتِه وعِمَارَةِ الصَّفِيحِ الأَعْلَى مِنْ مَلَكُوتِه خَلْقاً بَدِيعاً مِنْ مَلَائِكَتِه وَمَلأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا وحَشَا بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَائِهَا وبَيْنَ فَجَوَاتِ تِلْكَ الْفُرُوجِ زَجَلُ الْمُسَبِّحِينَ**-أي من الملائكة- **مِنْهُمْ فِي حَظَائِرِ الْقُدُسِ وسُتُرَاتِ الْحُجُبِ**-أي أنَّ الملائكة محدقين ومسبّحين في موضعين في حَظَائِرِ الْقُدُسِ وسُتُرَاتِ الْحُجُب).

وفي الصحيفة السجادية[٣] **(والرُّوحُ الَّذِي هُوَ عَلَى مَلَائِكَةِ الْحُجُبِ)** أي أنَّ على الملائكة اللَّذين هم في هذه النقطة وفي هذا الموضع ألا وهو موضع الْحُجُب الروح عليهم.

ومما ورد في النظر إلى هذه النقطة وهي أنوار الْحُجُب المحيطة بالعرش ما ورد في المناجاة الشعبانية: **(حَتّى تَخرِقَ أبصارُ القُلوبِ حُجُبَ النّورِ فَتَصِلَ إلى مَعدِنِ العَظَمَةِ)**[٤] فحُجُبَ النور أو نور الحُجُبَ، هذا هو النور المحيط بالعرش الذي لشدّته وقوّته كأنه يحجُبُ الرؤيا عمّا ورائه عن العرش.

---

[٢] نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، تحقيق صبحي الصالح، صفحة ١٢٨.

[٣] الصحيفة السجاديّة الكاملة للإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) : من دعائه في الصلاة على حملة العرش ، صفحة ٣٤.

[٤] المناجاة الشعبانية، وهي مناجاة أمير المؤمنين والأئمة من ولده (عليهم السلام) كانوا يدعون بها في شهر شعبان.

ومنه هذا الحديث الذي قرأناه، قال الإمام الرضا عليه السلام: (**ذاكَ مُحَمَّدٌ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كَانَ إِذَا نَظَرَ إِلى رَبِّهِ بِقَلْبِهِ**- لأنَّه لا توجد رؤيا بصرية وإنَّما الرؤيا قلبيّة « **ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى**»[٥] – **جَعَلَهُ**-الله- **فِي نُورٍ**- حين النظر- **مِثْلِ نُورِ الْحُجُبِ**- يعني مثل ذلك النور المحيط بالعرش-**حَتّى يَسْتَبِينَ لَهُ مَا فِي الْحُجُبِ**- واستبانة ما في الْحُجُبِ عبارة عن إدراكه (صلى الله عليه وآله) العرش بكل تفاصيله، هذا المثال العرشي لنور الْحُجُبِ).

أمّا المثال الأرضي لنور الْحُجُبِ هم أهل بيت النبوة (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) ولذلك ورد في الزيارة الرجبية (**وَعَلى أوصيائِهِ الحُجُبِ**)[٦] وتسميتهم (صلوات الله عليهم) بالْحُجُبِ إشارة إلى أنَّ نورهم (صلوات الله عليهم) اقترن بنور الْحُجُبِ، يعني كما أنَّ هذا النور المحيط بالعرش المسمّى بنور الْحُجُبِ كذلك نورهم محيط بالعرش أيضاً فهو مقترن بنور الْحُجُبِ، ولأجل ذلك سُمّوا بالأوصياء الْحُجُبِ (**خَلَقَكُمُ اللهَ أنواراً فَجَعَلَكُم بِعَرشِهِ مُحْدِقِينَ**)[٧] هذا المطلب الأوَّل في الرواية وهو معنى نور الْحُجُبِ.

المطلب الثاني: في الرواية ذكر الألوان لنور الله تبارك وتعالى، (**إِنَّ نُورَ اللهِ : مِنْهُ أَخْضَرُ ، وَمِنْهُ أَحْمَرُ ، وَمِنْهُ أَبْيَضُ، وَمِنْهُ غَيْرُ ذلِكَ**)، وألوان الأنوار هذا تعبير كنائي عن تفاوت درجات المعرفة ودرجات القرب من الله تبارك وتعالى، كما أن النور له مراتب ودرجات تختلف من حيث الصفاء وغيره، كذلك درجات المعرفة إلى الله تبارك وتعالى متفاوتة، تختلف باختلاف استعداد الأولياء من حيث العلم والمعرفة.

وفي بيان ذلك يقال: البياض هو أعلى درجة من درجات النور، لأنَّه هو عبارة عن شدّة الصفاء ويتلو البياض ألا وهو الخضرة كما قالوا، ويتلو الخضرة الحمرة يعني كلّما كان النور مشوباً بشيءٍ من الاغتشاش اختلف لونه من الأبيض إلى الأخضر إلى الأحمر.

وقال بعضهم: بأنَّ هذا التعبير بالأبيض والأخضر والأحمر إشارة إلى صفاته تبارك وتعالى، فبلحاظ صفة الرحمة التي هي أوسعُ صفةٍ له بدأ بها كتابه العزيز (**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ**) عبّر عن هذه الصفة العظيمة بالأبيض، ولذلك قال تبارك وتعالى: (**وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَتِ اللهِ هُمْ فِيها خالِدُونَ**)[٨] .

---

(٥) سورة النجم، آية ١١، صفحة ٥٢٦

(٦) الزيارة الرجبية، رواها الشيخ أيضاً عن أبي القاسم حسين بن روح (رضي الله عنه) النائب الخاص للحجّة (عليه السلام).

(٧) الزيارة الجامعة الكبيرة، رواها الشيخ الصدوق في الفقيه وفي العيون عن موسى بن عبد الله النخعي عن الإمام علي النقي (عليه السلام).

(٨) سورة آل عمران، آية ١٠٧، صفحة ٦٣.

والتعبير بالأخضر إشارة إلى صفة الإحياء، قال تبارك وتعالى: **(تَبارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَياةَ)**[٩] خلقهُ للحياة والحياة هي مصدر الإخضرار وهي مصدر النعم، فيعبّر باللون الأخضر عن صفة الفعل له ألا وهي صفة الإحياء.

وأما اللون الأحمر فهو عبارة عن صفة الغضب فيه تبارك وتعالى **(وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَ لَعَنَهُمْ)**[١٠] فهذا الاختلاف في الألوان إشارة إلى اختلاف صفاته الفعليّة تبارك وتعالى، هذا ما يتعلق بالرواية الشريفة.

ثمَّ ذُكر في الباب عدّة روايات اتضح معناها مما سباق، لكن نقرأها ثم نعلّق.

الحديث الرابع[١١]: **(عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ بِشْرٍ الْبَرْقِيِّ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبَّاسُ بْنُ عَامِرٍ الْقَصَبَانِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي هَارُونُ بْنُ الْجَهْمِ ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)، قَالَ: « لَوِ اجْتَمَعَ أَهْلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَنْ يَصِفُوا اللهَ بِعَظَمَتِهِ لَمْ يَقْدِرُوا)**.

فلا يمكن وصف عظمة الله تبارك وتعالى.

الحديث الخامس[١٢]: **(سَهْلٌ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْهَمَذَانِيِّ قَالَ :كَتَبْتُ إِلَى الرَّجُلِ**-في التوحيد يعني أبا الحسن، وفي الوافي المراد بالرجل أبو الحسن الثالث- **(عَلَيْهِ السَّلَامُ) : أَنَّ مَنْ قِبَلَنَا مِنْ مَوَالِيكَ قَدِ اخْتَلَفُوا فِي التَّوْحِيدِ : فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : جِسْمٌ**-يعني لله جسم- **وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ صُورَةٌ**-يعني لله صورة- **فَكَتَبَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بِخَطِّهِ: سُبْحَانَ مَنْ لَايُحَدُّ وَلَا يُوصَفُ، « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ » الْعَلِيمُ - أَوْ قَالَ - الْبَصِيرُ)**.

الحديث السادس[١٣]: **(سَهْلٌ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسى عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَكِيمٍ ، قَالَ: كَتَبَ أَبُو الْحَسَنِ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) إِلى أَبِي: أَنَّ اللهَ أَعْلى وَأَجَلُّ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُبْلَغَ كُنْهُ صِفَتِهِ ؛ فَصِفُوهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ ، وَكُفُّوا عَمَّا سِوى ذلِكَ)**.

الحديث السابع[١٤]: **سَهْلٌ عَنِ السِّنْدِيِّ بْنِ الرَّبِيعِ عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ حَفْصٍ أَخِي مُرَازِمٍ عَنِ**

---

[٩] سورة الملك، من آية ١، إلى آية ٢.

[١٠] سورة الفتح، آية ٦، صفحة ٥١١.

[١١] أصول الكافي (دار الحديث) للشيخ الكليني/ كتاب التوحيد/ بَابُ النَّهْيِ عَنِ الصِّفَةِ بِغَيْرِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ تَعَالى:١/ ٢٥٠/ ح٤.

[١٢] أصول الكافي (دار الحديث) للكليني/ كتاب التوحيد/ بَابُ النَّهْيِ عَنِ الصِّفَةِ بِغَيْرِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ تَعَالى:١/ ٢٥٠- ٢٥١/ ح٥.

[١٣] أصول الكافي (دار الحديث) للشيخ الكليني/ كتاب التوحيد/ بَابُ النَّهْيِ عَنِ الصِّفَةِ بِغَيْرِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ تَعَالى:١/ ٢٥٠/ ح٦.

[١٤] أصول الكافي (دار الحديث) للشيخ الكليني/ كتاب التوحيد/ بَابُ النَّهْيِ عَنِ الصِّفَةِ بِغَيْرِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ تَعَالى:١/ ٢٥٠/ ح٧.

الْمُفَضَّلِ قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَنْ شَيْءٍ مِنَ الصِّفَةِ -يعني من صفة الله تعالى- **فَقَالَ: لَا تَجَاوَزْ مَا فِي الْقُرْآنِ** -يعني لا تتجاوز ما في القرآن، أي صِفهُ كما وصِفَ في القرآن الكريم).

وقد وعدنا في الأسبوع الماضي بأن نذكر هذه النقطة، وهي: هل أنَّ تسمية الله تبارك وتعالى مقتصرة على ما في الكتاب العزيز، كما ذكر في هذه الروايات الشريفة (**لَا تَجَاوَزْ مَا فِي الْقُرْآنِ**) أم لا؟

ومن أجل بحث هذا المطلب نذكر أمورًا:

الأمر الأوّل: أوّل صفة يدركها الإنسان إدراكاً وجدانياً لله تبارك وتعالى هي صفة الغنى، لأنَّ الإنسان أوّل ما يشعر به الحاجة، فأوّل شيء يشعر به الإنسان في نفسه وفي ذاته أن يشعر بأنه محتاج وأن يشعر بأنه ناقص وأن يشعر بأنه محدود من جميع الجهات، فالإنسان يدرك أنَّ له علم لكن يدرك أنّه لا يستطيع الوصول إلى هذا العلم إلا عبر صور ترتسم في ذهنه، فلولا هذه الصور لا يمكنه أن يكون له علم، ويدرك أنَّ له قدرة وأنّ هذه القدرة البدنية منشأ لإيجاد الأشياء، لكنه في نفس الوقت يدرك أن هذه القدرة قاصرة فهو يحتاج إلى جوارح ويحتاج إلى أدوات خارجية، ويدرك الإنسان أنَّ له حياة لكنه يدرك في نفس الوقت أن حياته محدودة بالزمكان، فلا يمكن أن يتعدّى الزمان ولا يمكن أن يتعدّى المكان، فحياته محدودة بالزمان والمكان، ويدرك أنّه يحتاج إلى الرزق، ويدرك أنّه يحتاج إلى الصحة، ويدرك أنّه يحتاج إلى الأمن، ويدرك أنّه يحتاج إلى التعلّم، ويدرك أنّه يحتاج إلى الأدب، فأوّل ما يدركه الإنسان في وجوده هو إدراك الحاجة وأنّه محتاج للرزق وللمدد وللصحة وللأمان وللعلم، فيدرك بأنه محتاج من جميع الجهات، فإذا أدرك بأنّه محتاج، بل هو عين الفقر والحاجة من جميع الجهات أدرك أنَّ هناك الغني الذي هو مصدر المدد ومصدر الرحمة ومصدر اللطف تبارك وتعالى.

إذن: فأوّل صفة يدركها الإنسان لله تبارك وتعالى صفة جمالية وهي صفة الغنى، قال تبارك وتعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَ اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)**[١٥] ، هذا الأمر الأوّل.

الأمر الثاني: بما أنَّ الله تبارك وتعالى هو مصدر الفيض، أي أنَّ كل كمال في هذا الكون فهو مصدره، من رزقٍ، ومن علمٍ، ومن قدرةٍ، ومن حياةٍ، فهو مصدر كلِّ كمال، إذن هو مفيض الكمال على هذا الوجود، ومزيل النقص، فإذا كان هو تبارك وتعالى مصدر الكمال فلا بدّ أن يكون هو كمال، بما أنّه مصدر الكمال إذن هو كمال، فله من كلِّ كمالٍ أعلاه، من العلمِ أعلاه، ومن القدرةِ أعلاه، ومن الحياةِ أعلاها، فبما أنّه مصدر الكمال إذن هو الكمال المطلق، وهذا يعني أن ما يدركه الإنسان عبر هذا الاستدلال الإنّي إدراك صفة ثبوتيّة

---

[١٥] سورة فاطر، آية ١٥، صفحة ٤٣٦.

وليس إدراك صفة سلبيّة، فلا يدرك أن الله ليس نقص، وليس فقر، وليس حاجة، بل يدرك أنَّ الله كمال، فلأنَّه مصدر الكمال فهو الكامل، ولأنَّه مصدر الغنى فهو الغني، فما يدركه الإنسان عبر أوّل استدلال يقوم به هو صفة ثبوتيّة لله تبارك وتعالى، لذلك قال الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) في الحديث الأوَّل[١٦] الذي تقدّم في الأسبوع الماضي: (**فَانْفِ عَنِ اللهِ تَعَالَى الْبُطْلَانَ وَالتَّشْبِيهَ ، فَلَا نَفْيَ وَلَا تَشْبِيهَ**)، ومعنى (**فَلَا نَفْيَ**) يعني إذا كان الله تبارك وتعالى في تصورك هو النفي، أي أنَّ ما تتصوره عن الله هو عبارة عن مجموعة من السلوب مجموعة من النفي والليس، لكن من دون أن يكون وراء هذا الليس وهذا النفي صفة ثبوتيّة يتسم بها تبارك وتعالى، فلو كان الله تبارك وتعالى عبارة عن النفي لم يكن شيئاً.

فإذن: بما أنّه تبارك وتعالى وجود إذن بالنتيجة له صفة ثبوتيّة، لا أن صفته تبارك وتعالى عبارة عن مجموعة من السلوب والنفي (**فَلَا نَفْيَ وَلَا تَشْبِيهَ**) لذلك عطف على هذا النفي قوله:(**هُوَ اللهُ الثَّابِتُ الْمَوْجُودُ**) أي أنَّ وراء هذه السلوب توجد صفة ثبوتيّة وهو أنّه تبارك وتعالى الثابت الموجود.

الأمر الثالث: قلنا مقتضى الاستدلال الإنّي هو الوصول إلى كماله تبارك وتعالى، ومقتضى كماله نفي النقص عنه، ونفي النقص مساوق لنفي الحد، إذا قلنا أنَّ الله تبارك وتعالى كمال يعني لا حدَّ له، لماذا؟

لأنَّ الحد دائمًا من خارج الوجود، فلا يعقل أن يكون الحد من صلب الوجود، وإلا لكان الوجود حدًّا لنفسه وهذا غير معقول، إذن لا محالة لو كان له حد لكان من غير الوجود، فعندما نقول: بأنّه كمال ومقتضى الكمال نفي النقص عنه، ومقتضى نفي النقص عنه أن ليس له حد، لأنَّ الحدَّ من خارج الوجود، وما كان من خارج الوجود فهو نقصٌ، ولا يعقل أن يكون وجوده مشوباً بغير الوجود، فهو خُلفُ كونه تبارك وتعالى عين الكمال.

الأمر الرابع: أنَّ مقتضى نفي الحدّ عنه أنَّ صفاته عين ذاته، نعم صفاته مختلفة مفهوماً، فمفهوم القدرة غير مفهوم العلم، ومفهوم العلم غير مفهوم الحياة، هذه بحسب المفهوم مختلفة، لكنها مصداقاً هي الذات المقدّسة وليس شيئًا آخر، لماذا؟ لأنَّه لو كانت صفاته غير ذاته لكان محدوداً، فصفة العلم محدودة بغير أن تكون صفة القدرة، وصفة القدرة محدودة بأن تكون غير صفة السمع والبصر وما أشبه ذلك، فلو كانت صفاته غير ذاته لكان محدوداً تبارك وتعالى، وقد تبيّن مما سبق أنَّ مقتضى كماله نفي الحدِّ عنه.

وقد ذكر السيّد صاحب الميزان[١٧] (أعلى الله مقامه) في تفسيره، قال: (**هل أسماء الله توقيفيّة؟**- نحن

---

[١٦] أصول الكافي (دار الحديث) للشيخ الكليني/ كتاب التوحيد/ بَابُ النَّهْيِ عَنِ الصِّفَةِ بِغَيْرِ مَا وَصَفَ الله بِهِ نَفْسَهُ تَعَالى:١/ ٢٤٧/ ح١.
[١٧] الميزان في تفسير القرآن للسيّد محمد حسين الطباطبائي (قدّس سرّه) : ٨/ ٣٦٣.

الآن وصلنا إلى أنَّ الله تبارك وتعالى هو الكمال المطلق، ومقتضى كماله نفي الحدِّ عنه، لكن نريد أن نصل إلى أنّه أي صفة كمالية نصف الله بها هل يلزم أن تكون في الكتاب الكريم؟ لذلك يسأل فيقول:- **هل أسماء الله توقيفية؟**-ويجيب السيّد عن ذلك بقوله: -**تبيّن مما تقدّم أن لا دليل على توقيفيّة أسماء الله تعالى من كلامه** - يعني من القرآن الكريم، لا يوجد دليل على أن أسماءه توقيفيّة- **بل الأمر بالعكس والذي استدل به على التوقيف من قوله تعالى (وَ للهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى فَادْعُوهُ بِها وَ ذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمائِهِ)**[١٨]-يقول الذي استدلَّ بهذه الآية على أن أسماء الله توقيفيّة من نفس القرآن الكريم هذا الاستدلال غير صحيح، لماذا؟

لأنَّه أَوَّلاً: هذا الاستدلال- **مبني على كون اللام لام العهد**- يعني (وَللهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى) أي الأسماء المذكورة في القرآن (فَادْعُوهُ بِها) ولا تدعوا بغير هذه الأسماء المذكورة في القرآن، والحال بأنه لا قرينة على أنَّ اللام لام العهد، (وَللهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى) يعني لله كل إسم حسن، لله كل إسم يدل على كماله المطلق وجماله المطلق، فلا موجب لتقييد الأسماء الحسنى بما كان في الكتاب.

والأمر الثاني: **(وأن يكون المراد بالإلحاد** -(وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمائِهِ)- **التعدّي إلى غير ما ورد من أسمائه من طريق السمع)** فالإلحاد يعني أن تأتي بأسماء لم ترد في الكتاب، وهذا أيضاً محل كلام، كيف؟

لأنَّ معنى(وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمائِهِ) ليس المقصود بذلك يتعدّون عمّا ورد، بل معنى (يُلْحِدُونَ فِي أَسْمائِهِ) بمعنى أنّهم يشركون به غيره، لا أنَّ معنى (يُلْحِدُونَ فِي أَسْمائِهِ) بمعنى أنّهم يسمّونه بغير ما ورد في الكتاب الكريم حتى يقال بأنَّ الآية تدل على التوقيفيّة.

(وأما ما ورد مستفيضاً مما رواه الفريقان عن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم): " إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة "- يقول: وهذه الرواية لا تفيد الحصر، فقوله: (إن لله تسعة وتسعين اسماً) هذا لا يعني أنّه لا يجوز تسمية الله، وكأنّه يريد أن يقول: لله في الكتاب تسعة وتسعون اسماً من أحصاها دخل الجنة، هذا لا يستفاد منه الحصر وأنّه ليس لله تعالى إسم غير ذلك- **فلا دلالة فيها على التوقيف، هذا بالنظر إلى البحث التفسيري**- يعني أنا كمفسّر هذه النتيجة عندي، أنّه لا دليل على أن أسماء الله توقيفيّة- **وأما البحث الفقهي**- وماذا يستفاد من الروايات، حرمة التسمية، أو كراهة التسمية؟ ما هو المقصود بأنَّ أسماء الله توقيفيّة؟-**فمرجعه فن الفقه، والاحتياط في الدِّين يقتضي الاقتصار في التسمية بما ورد من طريق السمع ، وأما مجرد الاجراء والإطلاق من دون تسمية فالأمر فيه سهل) .**

---

[١٨] سورة الأعراف، آية ١٨٠، صفحة ١٧٤.

وتعليقاً على كلامه (قدّس سرّه) يتم بذكر مطالب:

المطلب الأوَّل: إن الروايات الشريفة على ثلاثة أقسام:

القسم الأوَّل: ما حصر التوصيف بها في القرآن، وقد ورد في الحديث الأوَّل أنّه قال: (**وَلَا تَعْدُوا الْقُرْآنَ فَتَضِلُّوا بَعْدَ الْبَيَانِ**)، وورد في الحديث السابع أنّه قال: (**لَا تَجَاوَزْ مَا فِي الْقُرْآنِ**).

القسم الثاني: من الروايات النهي عن وصفه بغير ما وصف الله به نفسه، لاحظوا الحديث الثالث المتقدّم من هذا الباب، عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: (**اللَّهُمَّ ، لَاأَصِفُكَ إِلَّا بِمَا وَصَفْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، وَلَا أُشَبِّهُكَ بِخَلْقِكَ ، أَنْتَ أَهْلٌ لِكُلِّ خَيْرٍ فَلَا تَجْعَلْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**)، وأيضاً الحديث السادس من هذا الباب، قال: (**فَصِفُوهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ ، وَكُفُّوا عَمَّا سِوى ذلِكَ**).

القسم الثالث: من الروايات أنّه أصلاً لا يمكن وليس مسألة حلال أو حرام، بل غير معقول ولا يمكن أن نصف الله تبارك وتعالى، يعني لا يمكن للمخلوق المحدود أن يصف الله تبارك وتعالى، كما في الرواية الرابعة (**لَوِ اجْتَمَعَ أَهْلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَنْ يَصِفُوا اللهَّ بِعَظَمَتِهِ لَمْ يَقْدِرُوا**).

وكذا الحديث الحادي عشر[١٩] من نفس الباب: (**مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسى ، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهَّ ، عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهَّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَقُولُ : « إِنَّ اللهَّ لَايُوصَفُ ، وَكَيْفَ يُوصَفُ وَقَدْ قَالَ فِي كِتَابِهِ : « وَما قَدَرُوا اللهَّ حَقَّ قَدْرِهِ » فَلَا يُوصَفُ بِقَدَرٍ إِلَّا كَانَ أَعْظَمَ مِنْ ذلِكَ**).

كيف نجمع بين ما في هذه الروايات وبين ما في الروايات الأخرى من أن الأئمة (عليهم السلام) وصفوا الله بغير ما ورد في الكتاب؟

ففي الحديث الأوَّل الذي تقدّم الإمام (عليه السلام) وصف الله تبارك وتعالى بأنه الثابت، وهذا ليس موجوداً في الكتاب، وفي رواية حَمَّادِ بْنِ عَمْرٍو النَّصِيبِيِّ[٢٠]، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهَّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قَالَ : (**سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللهَّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَنْ « قُلْ هُوَ اللهُّ أَحَدٌ » فَقَالَ : « نِسْبَةُ اللهَّ إِلى خَلْقِهِ أَحَداً ، صَمَداً ، أَزَلِيّاً ، صَمَدِيّاً ، لَاظِلَّ لَهُ يُمْسِكُهُ ، وَهُوَ يُمْسِكُ الْأَشْيَاءَ بِأَظِلَّتِهَا ، عَارِفٌ بِالْمَجْهُولِ ، مَعْرُوفٌ عِنْدَ كُلِّ جَاهِلٍ ، فَرْدَانِيّاً ، لَاخَلْقُهُ فِيهِ ، وَلَا هُوَ فِي خَلْقِهِ ، غَيْرُ مَحْسُوسٍ وَلَا مَجْسُوسٍ ، لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ، عَلَا فَقَرُبَ ، وَدَنَا فَبَعُدَ ، وَعُصِيَ فَغَفَرَ ، وَأُطِيعَ فَشَكَرَ ، لَاتَحْوِيهِ أَرْضُهُ ، وَلَا تُقِلُّهُ سَمَاوَاتُهُ ، حَامِلُ الْأَشْيَاءِ بِقُدْرَتِهِ ، دَيْمُومِيٌّ ، أَزَلِيٌّ ،**

---

[١٩] أصول الكافي (دار الحديث) للكليني/ كتاب التوحيد/ بَابُ النَّهْيِ عَنِ الصِّفَةِ بِغَيْرِ مَا وَصَفَ اللهَّ بِهِ نَفْسَهُ تَعَالى:١/ ٢٥٣- ٢٥٤/ ح١١.

[٢٠] أصول الكافي (دار الحديث) للشيخ الكليني/ كتاب التوحيد/ بَابُ النسبة:١ / ٢٢٩- ٢٣٠/ ح٢.

لَا يَنْسى وَلَا يَلْهُو ، وَلَا يَغْلَطُ وَلَا يَلْعَبُ ، وَلَا لِإِرَادَتِهِ فَصْلٌ ، وَفَصْلُهُ جَزَاءٌ ، وَأَمْرُهُ وَاقِعٌ « لَمْ يَلِدْ » فَيُورَثَ « وَلَمْ يُولَدْ » فَيُشَارَكَ « وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ».

بل ذكر سيّد الميزان[٢١] (أعلى الله مقامه) : بأنَّ ما يستفاد من مجموع الأحاديث أنَّ لله ثلاثمائة وستين إسماء وليس تسعة وتسعين فقط، بل أنَّ لله ثلاثمائة وستين صفة وردت في الروايات الشريفة.

إذن: كيف نجمع بين هذه الروايات الشريفة؟

هناك أمور ثلاثة نتعرض لها سريعاً:

الأمر الأوَّل: هناك فرق بين التسمية والإطلاق، فالتسمية بمعنى أن تصف الله بوصفٍ قاصداً الحكاية عن ذاته، فإذا سميته بوصفٍ حاكياً لذاته فهذه تسمية تدخل ضمن النهي.

أمّا إذا كنت في مقام تحليل وتقريب هذه الحقيقة وقلت: الله عين الوجود، الله صرف الكمال، فهذا لا مانع منه، ولا تشمله الروايات لأنَّ هذا ليس تسمية.

ففرق بين التسمية والتوصيف وبين الإطلاق في مقام التقريب والتحليل، وهذا مما لا يصدق عليه عرفاً أنّه توصيف وتسمية كي تشمله الروايات، المهم أنّه يليق بكماله تبارك وتعالى.

الأمر الثاني: عندما تقول الأحاديث الشريفة: (**لَا تَجَاوَزْ مَا فِي الْقُرْآنِ**) و (**وَلَا تَعْدُوا الْقُرْآنَ فَتَضِلُّوا بَعْدَ الْبَيَانِ**)، فالقرآن الكريم كما ذُكر في كتب التفسير له ظهوران:

ظهور التنزيل، وظهور البيان.

التنزيل: هو عبارة عن ما ورد في القرآن من حرف.

والبيان: هو عبارة عن ما ورد عن النبي (صلوات الله عليه وآله) في تفسير القرآن، والقرآن الكريم دلَّ على أنَّ لهم البيان.

قال تبارك وتعالى: (**لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ**)[٢٢] والبيان تكفّل به النبي المصطفى (صلّى الله عليه وآله).

قال تعالى: (**وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**)[٢٣]

---

[٢١] الميزان في تفسير القرآن للسيّد محمد حسين الطباطبائي (قدّس سرّه) : ٨/ ٣٨٨.

[٢٢] سورة القيامة، من آية ١٦، إلى آية ١٩.

[٢٣] سورة النحل، آية ٤٤، صفحة ٢٧٢.

وقال تبارك وتعالى: (**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ**)[٢٤].

إذن: لا تعدوا القرآن، بمعنى لا تعدوا القرآن بتنزيله وبيانه الذي ورد عن النبي المصطفى (صلّى الله عليه وآله).

وورد عن أهل بيت النبوة (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) هذه الرواية الشريفة: (**هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ وَحَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ وَغَيْرِهِ ، قَالُوا : سَمِعْنَا أَبَا عَبْدِ اللهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَقُولُ : « حَدِيثِي حَدِيثُ أَبِي ، وَحَدِيثُ أَبِي حَدِيثُ جَدِّي ، وَحَدِيثُ جَدِّي حَدِيثُ الْحُسَيْنِ ، وَحَدِيثُ الْحُسَيْنِ حَدِيثُ الْحَسَنِ ، وَحَدِيثُ الْحَسَنِ حَدِيثُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَحَدِيثُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَدِيثُ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، وَحَدِيثُ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**)[٢٥].

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (**يَا أَبَا حَنِيفَةَ تَعْرِفُ كِتَابَ الله حَقَّ مَعْرِفَتِهِ، وَ تَعْرِفُ النَّاسِخَ وَ الْمَنْسُوخَ قَالَ نَعَمْ، قَالَ يَا أَبَا حَنِيفَةَ لَقَدِ ادَّعَيْتَ عِلْماً، وَيْلَكَ مَا جَعَلَ الله ذَلِكَ إِلَّا عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ، الَّذِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِمْ، وَيْلَكَ وَ لَا هُوَ إِلَّا عِنْدَ الْخَاصِّ مِنْ ذُرِّيَّةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ (صلّى اللهُ عليه وآله) وَمَا وَرَّثَكَ الله مِنْ كِتَابِهِ حَرْفاً**)[٢٦].

إذن: ليس الأمر خاصاً بما ورد في الكتاب العزيز من حيث التنزيل ، بل يشمل ما ورد من حيث البيان في كلماتهم (صلوات الله وسلامه عليهم).

الأمر الثالث: عندما يقول: (**لَاأَصِفُكَ إِلَّا بِمَا وَصَفْتَ بِهِ نَفْسَكَ**) أو (**فَصِفُوهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَكُفُّوا عَمَّا سِوى ذلِكَ**) إنَّما وصف به نفسه يصدق على ما وصف به نفسه بالمدلول المطابقي أو بالمدلول الالتزامي، إذا كان هناك وصف اللازم البيّن لما وصف به تبارك وتعالى نفسه فيدخل ضمن ما وصف به نفسه، فعندما نقرأ قوله تعالى: (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**)[٢٧]، أو نقرأ قوله تعالى: (**وَلِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى**)[٢٨]، أو نقرأ قوله تعالى: (**وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ**)[٢٩] نقول مقتضى أنّه ليس كمثله شيء، ومقتضى

---

[٢٤] سورة الجمعة، آية ٢، صفحة ٥٥٣.

[٢٥] أصول الكافي (دار الحديث) للشيخ الكليني/ كتاب التوحيد/ البَابُ١٧: بَابُ رِوَايَةِ الْكُتُبِ وَالْحَدِيثِ:١ / ١٣١/ ح١٤.

[٢٦] وسائل الشيعة:٢٧/ ٤٨، الباب السادس من أبواب صفات القاضي/ ح٢٧.

[٢٧] سورة الشورى، آية ١١، صفحة ٤٨٤.

[٢٨] سورة الأعراف، آية ١٨٠، صفحة ١٧٤.

[٢٩] سورة الأنعام، آية ٩١، صفحة ١٣٩.

أنّه هو الخالق الرازق القابض الباسط الفاطر الجاعل إلى آخره، أنّه هو الكمال هو الجمال هو الغنى، وهذه الكمال والجمال والغنى لم ترد في التنزيل لكنها لوازم بيّنة ومدلول التزامي، فهو الكمال، هو الجمال، هو الغنى.

أيضًا يستفاد من الرواية التي قرأناها قبل قليل وهي رواية عَمْرٍو النَّصِيبِيِّ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهَّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قَالَ : أنّه **(أَزَلِيٌّ دَيْمُومِيٌّ)** ومن كان أزليّاً ديموميّاً فهو واجب الوجود، فواجب الوجد لازمٌ بيّن لكونه أزليّاً ديموميّاً، فوصف الله تبارك وتعالى بما هو مدلول التزامي بما وصف به نفسه مندرج تحت عنوان ما وصف به نفسه تبارك وتعالى، بل وفي هذه الرواية التي مرَّ ذكرها عمم للكتاب والسنة، فقال: **(يَا مُحَمَّدُ ، مَا شَهِدَ لَهُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ ، فَنَحْنُ الْقَائِلُونَ بِهِ).**

والحمد لله ربِّ العالمين وصلّى اللهُ على محمدٍ وآلِهِ الطيبينَ الطاهرين.